الإبادة الأرمنيـــة في صحافة المهجر السورية

نورا أريسيان
narissian@hotmail.com

تعتبر الصحافة من أكبر المصادر التاريخية التي تعكس الأحداث والوقائع التاريخية في حقبة زمنية محددة. وبهذا فإن الصحافة السورية لها اعتبارها الكبير حيث رصدت بشكل مفصل المذابح والإبادة التي تعرض لها الأرمن في الإمبراطورية العثمانية، وكذلك وصفت أحوال الأرمن الناجين من تلك المجازر، حيث يتمثل كل ذلك أمامنا كوثيقة تاريخية هامة الى جانب التقارير التي كتبها الدبلوماسيون الأجانب من خلال ممثليات الدول الأجنبية في تركيا، وكذلك شهادات الإرساليات الدينية التي كانت تزور البلاد.

لقد أدت الضغوطات التي فرضت على الصحافة في فترة السلطان عبد الحميد والرقابة في الامبرطورية العثمانية الصارمة من قبل الاتحاديين إلى ملاحقة الصحفيين المعروفين والتسبب في ابتعادهم عن البلد وتأسيس صحافة في بلاد الغربة والمهجر. ويرجع السبب الحقيقي لهجرة الصحفيين السوريين، إلى ما كانوا يعانونه من قسوة القيود التي يضعها الحكم العثماني التركي على حقهم في التعبير[1].

لقد ولدت صحافة المهجر تحت هذه الظروف في دول أوروبا وأمريكا اللاتينية. وتجمع الصحفيون السوريون حول الجرائد التي أسسوها هناك، فقد حصلوا على إمكانية التعبير عن أفكارهم ومطالبهم الوطنية بحرية تامة. وكانت صحافة المهجر السورية تحمل الطابع السياسي والتحليلي والاقتصادي والأدبي. هذه الصحف ذات الطابع الحر المطلق كانت تخصص صفحاتها للأخبار المحلية، وكانت المراسلات التي ترد إليها تكون عن طريق اسطنبول-الاستانة-القسطنطينية ومصادر أجنبية أخرى.

ويلاحظ أن صحافة المهجر السورية لها تاريخ غني، فقد صدر العديد من الصحف في فرنسا وبريطانيا والبرازيل والأرجنتين. ولا بد من الإشارة إلى أن ما

هو في متناول أيدي الباحثين من صحافة المهجر فهو فقط ما أرسله بعض أبناء المهجر المفكرين إلى الوطن لتكتمل صورة الصحافة السورية.

وتجدر الإشارة الى أن الصحف السياسية تلك كتبت عن سياسة التتريك التي اتبعها الاتحاديون وكانت تدافع دوماً عن العنصر العربي وتطالب بالإصلاح خلال مراحل تطور تاريخ الصحافة السورية.

ومن خلال الدراسة وجدنا عدداً لا بأس به من تلك الصحف التي اهتمت بمواضيع الأرمن، ولكننا سنسلط الضوء هنا على بعض النماذج منها[٢].

ونبدأ مع جريدة *المستقبل* الأسبوعية الصادرة في باريس لما تنفرد به من مقالات وتغطية شاملة لأحداث المذابح الأرمنية. فهي جريدة رسمية وقد أنشأتها حكومة الجمهورية الفرنسية في باريس أثناء الحرب العظمى في آذار ١٩١٦. وفوضت شؤون إدارتها وتحريرها إلى حقي بك العظم رئيس الحكومة السورية سابقاً[٣]. وبعد فترة استلم إدارة الجريدة شكري غانم.

كانت *المستقبل* تعتبر جريدة سياسية حرة، لم تكن تورد فقط أخبار فرنسا المحلية بل كانت تنقل صورة سوريا ولبنان الحقيقية.

وقد نشرت على صفحاتها حوالي السبعين مقالة خلال فترة ١٩١٦-١٩١٩ تخص إبادة الأرمن، تلك الجريمة الصامتة في تاريخ الإنسانية.

فمنذ عددها الأول بدأت *المستقبل* بنشر أخبار عن سقوط أرضروم وموش ومعظم بلاد أرمينيا العثمانية في يد الروس، وقد أدرك أصحاب القلم فيها أن أبناء الأمة العربية يهدرون دماءهم في القوقاز تحقيقاً لمطامع عصبة الظالمين وخدمة لمطامع أسيادهم الألمان.

وورد في العدد الثالث تاريخ ١٩١٦/٣/١٧ ما يبين لنا الفرق بين العرب والأتراك في معاملة الأرمن، ويتحدى صاحب المقال القارئ بأنه لن يجد في تاريخ العرب في أي عصر مثل تلك المذابح المتتابعة والمتكررة في بلاد الأرمن منذ نزلوا أرض الشام. وهو إذ يرجئ المذابح إلى أن الترك حملوها معهم من بلاد المغول وألصقوها بالإسلام والمسلمين زوراً. وحول رفضه لعملية المذابح يقول: *فالعالم العربي يقابل هذه المذابح الأرمنية بالاحتجاج عليها، مبرئاً الإسلام والمسلمين الصادقين أمام التاريخ من عارها...*"[٤].

ويأتي حقي العظم ليوقع في العدد الثالث تحت مقالة كتب فيها عن حكومة الاتحاديين بنظر فاضل من أفاضل المسلمين، حيث يعتقد بأن المسيحي السوري لا يقل عن أخيه المسلم السوري وطنية عربية وقومية. إشارة منه إلى المعاملة السيئة التي لقيها الأرمن والمسيحيون من الدولة التركية، إذ يقول: *"وإنني لا أعلم كيف نسي أو تناسى هؤلاء الذين يرمون المسيحي من أرمن وأروام وغيرهم من رعايا الدولة*

التركية بخيانة وطنهم، أنه يصعب على المرء بل يستحيل عليه أن يقبل يد قاتله ويشكره على إزهاق روحه".

وسنلاحظ دائماً أن *المستقبل* تأتي من خلال عدد من مقالاتها بشهادات مختلفة من بينهم الألمان والجنود الترك والعرب. حيث كانوا يروون تفاصيل عن المذابح الأرمنية بحكم مشاهدتهم لمعاناة وعذاب الأرمن عن طريق الصدفة.

وهذا ما تظهره لنا مقالة أخرى في العدد الثالث نقلاً عن خبر في صحيفة ألمانية أورده صحفيون ألمان في الأناضول. وفي بداية المقالة تبرز *المستقبل* هدف تقديم هذا الخبر، وهو أن الجريدة تأمل في أن يسلك الاتحاديون الصراط المستقيم رحمة بالإنسانية المتألمة.

ويعترف الجنود الأتراك أنهم جروا النسوة راكعات، وبعضهن ألقين بأولادهن في النهر لإنقاذهم من عذاب الذبح ويروي جندي آخر بافتخار أنه كان يسوقهم أمامه كقطيع من الماشية، وكان العشرات منهم يذبحون على مشهد من ذويهم.

وكتب الصحفيون تحت عنوان "موكب الضحايا" ما يلي: *"وفي صبيحة اليوم الثاني شاهدنا موكب هؤلاء الضحايا السائرين إلى الموت على أقدامهم... وأنا لا أنسى ولا أستطيع أن أمحو من لوحة خيالي ما حييت صورة مشهد هذين الرجلين ونسوة هذه القافلة وأولادهن البيض الوجوه الزرق العيون يمشون أمامنا بكل سكون وهدوء إلى الإعدام وهم ينظرون إلينا بعيون كأنها تلتمس الرحمة ولا تجسر على التفوه بها، أنني لا أنسى أبداً مشهد هذه القافلة التي تسير ساكنة هادئة إلى الفرات ليشد بعضها إلى بعض عند ضفته ويلقى هذا الجمع الغفير في قعره".*

وتتعمق الجريدة في سرد التفاصيل وتورد قصة عن الأتراك، حيث تتجلى كوصمة عار على جبين حكام الاتحاديين، إذ تقول تحت عنوان "الجثث تسبح في الفرات": *"وقد ألقت الحكومة القبض على ١٢٠٠ وجه من وجهاء الأرمن وغيرهم في ولايتي ديار بكر ومعمورة العزيزية. وشحنت ٦٧٤ شخصاً منهم في ١٢ زورقاً كبيراً وأرسلتهم في الدجلة بحجة أنها تود إرسالهم إلى الموصل".*

لكن لم تمض فترة قصيرة حتى سلبهم الجنود جميع أموالهم ثم خلعوا عنهم ثيابهم وقذفوا بهم إلى قعر النهر. وقد ظل الناس مدة شهر يرون هذه الجثث طافية على سطح الفرات مشدودة بعضاً إلى بعض وقد بقرت بطون البنات والنساء وقطعت بعض أعضاء أجساد الرجال. والأسوأ في الأمر أن قائم مقام جرابلس التركي رفض دفنها بحجة أنه لا يفرق بينها بين المسلم والمسيحي وهكذا بقيت الجثث طعاماً لكلاب الأرض وطيور السماء.

وكتبت الجريدة في نهاية المقالة: *"هذا ما رواه الألمان أنفسهم عن فظائع الترك ورجال هذه الحكومة التركية الذين يودون الانتساب زوراً وكذباً إلى الإسلام والإسلام*

بريء مما يعملون". وتؤكد الجريدة أن الأتراك كانوا يعملون على تلطيخ الإسلام بتلك الجرائم وقد طهر الإسلام مما يجرمون.

أما فيما يتعلق بتعداد الأرمن فنقرأ في العدد السادس تاريخ ١٩١٦/٤/٧ أنه وحسب الإحصاءات الأخيرة للحكومة التركية فيبلغ عدد الأرمن في سوريا ولبنان وحلب ودير الزور وأضنة في العام ١٩١٠ مليون و٧٥٠.٠٠٠ شخصا.

وتبدأ الصحيفة الرسمية بنقل أخبار مذابح الأرمن مستندة إلى مصادر أجنبية. ومن أهم ما نقلته هو عن جريدة *تيجت* الهولندية أن المراسلين الكاثوليك الألمان في تركيا أخبروا مراكزهم الرئيسية أن الأتراك ذبحوا مليون أرمني منهم مائة ألف من الكاثوليك (العدد ٨ تاريخ ١٩١٦/٤/٢١).

وتأتي مقالة بعنوان "وصف مذابح الأرمن الفظيعة" في العدد ١٥ تاريخ ١٩١٦/٥/٢٢ لتسجل ما يلي تحت عنوان ثان مثير للاهتمام "سهام في صدر مدنية القرن العشرين": *يستحيل اليوم على الكاتب، وعلى الكاتب السوري على الخصوص، ان يكتب أو يقرأ أو يعرب فصول هذه الفظائع الدامية المحزنة ولا يجول في خاطره شبح ما يسمعه ويقراه ولا تصر أسنانه حقدا وغيظا للانتقام من هؤلاء الجناة أعداء الإنسانية...*". ثم يحذر القارئ العربي من أنه سيقرأ في الجريدة أخبارا وقصصا فظيعة. وتتابع الجريدة إذ تورد أخبارا من أرضروم أنه في أيار ١٩١٥: "*في مثل هذا الشهر، شهر الربيع والحياة والأزهار من سنة ١٩١٥ قررت جمعية الاتحاد والترقي ابعاد جميع الأرمن الذين يقطنون ولايات ارمينيا والأناضول واطنة إلى صحراء بلاد العرب جنوبي بغداد وقتلهم ونهب أرزاقهم وأملاكهم وأصدر أنور باشا ناظر الحربية أمره بذلك*".

وهنا تورد *المستقبل* على الهامش أنه في مثل هذا التاريخ من هذه السنة بدأ إبعاد العائلات السورية إلى الداخلية. وتثبت هذه الكتابات حدوث الإبادة المنفذة من قبل تركيا ضد الأرمن في صحراء سوريا.

وتختم هذه المقالة بالتعليق التالي: "*هذا بعض مما رواه مكاتب جريدة له جورنال في ارمينيا عن فظائع الترك والأكراد والاتحاديين فيها جعلناه تقدمة لمن أخذوا بيد تلك القتلة وأتوا عليهم ومدحوهم في صحفهم وشجعوهم على القتل*". ويجد صاحب المقالة أنه من الضروري ضم أسماء الخونة إلى أسماء الاتحاديين القتلة وصنع لوحة تعلق على جدران كل منزل كي تتذكر الأجيال القادمة هؤلاء الخونة وتلعنهم.

يكتب مدير *المستقبل* شكري غانم بكل جرأة في العدد ١٦ تاريخ ١٩١٦/٦/١٦ ما يلي: "*يقولون ان جمال باشا الذي تولى بنفسه إدارة هذه المشانق وكان يقال عنه حتى أمس أن ظل الألمان غير خفيف عليه وقال مرة قتلنا الأرمن بالسيف ونقتل السوريين بالجوع*".

وبذلك يرى المفكر السوري حقيقة الحكام الأتراك وأفعال منظمي الجرائم مشيراً إلى القدر الذي يواجهه الأرمن والعرب على السواء.

ونقرأ في العدد ٢٠ تاريخ ١٩١٦/٦/١٤ تحت العنوان الدائم "أخبار الدولة التركية" ما يلي: *ليس في البلاد التركية حادث جديد يلفت إليه النظر غير حوادث القتل والشنق والإعدام والمجاعة تتجدد كل يوم في صورة جديدة كلما مر عليها الزمن فلقد فتكت الدولة التركية بأرمن الولايات الأرمنية، ... ولا تزال المجاعة ضاربة أطنابها في بلاد الشام ولبنان طولاً وعرضاً ومشانق منصوبة لا تحل لها محال*". وفي النهاية يصف صاحب المقالة البلاد التركية على أنها عبارة عن مقبرة كبيرة يحرسها الجنود لنهب موتاها.

فها هي *المستقبل* تصف بصدق حال البلاد بكل وسائل التعذيب والفتك المستعملة من قبل الأتراك بحق شعوبها، مستنكرة الوضع الذي آلت إليه البلاد. وفي نهاية الأمر تبرهن على أن العرب والأرمن قد تعرضوا للمعاناة والفظائع ذاتها.

نعود إلى ما نشرته *المستقبل* من معلومات حول تعداد الأرمن المهجرين أو المقتولين. فنقرأ في العدد ١٣ تاريخ ١٩١٦/٥/٢٠ أن أخبار حلب الواردة من مصادر يوثق بصحتها أفادت أن ٤٩٢ ألف نسمة من الأرمن وصلوا إلى جهات حلب والشام والموصل ودير الزور في أوائل شهر كانون الثاني من هذه السنة ومعظم هؤلاء من النساء والأطفال والعجز. ويؤكد الخبر أنهم قد عدموا جميعاً وسائل القوت واللباس وفتكت بهم الأمراض القاتلة.

ويكتب صاحب المقال عما سمعه حول قتل الأرمن: "*ويقول طلعت بك رسمياً إنه أبعد ٨٠٠ ألف أرمني عن مساكنهم وبلادهم وقتل ٣٠٠ ألف*". إلا أنه ينهي المقالة معلقاً بأن الحقيقة هي *أن عدد المبعدين بلغ مليوناً ومائتي ألف والمقتولين ٥٠٠ ألفاً*".

ونأتي إلى بحث اجتماعي سياسي أجرته *المستقبل* في العدد ٣٠ تاريخ ١٩١٦/٩/٢٢، وفيه يشير صاحب المقال إلى فكرة أن الأتراك بحدودهم الطورانية يودون استئصال شأفة العرب، وأنهم يظلون أهل الخراب والدمار. وحسب البحث الاجتماعي السياسي يذكر أن مجموع عدد سكان ولايات الأناضول من جميع العناصر والأديان ويكثر فيها العنصر التركي هو ١٠.٠٥٣.٠٩٧ نسمة. ثم يذكر عدد السكان في ولايات أرمينيا التركية. ويعدد صاحب المقال تلك الولايات حسب إحصاء رسمي: أرضروم ١٨٧١٠٧١ نسمة - بتليس ٤١٠٠٧٩ - طرابزون ١٠٨٤٣٧٤ - وان ٢٨٥٩٤٧ - أورفة ١٥٤٩٦١ - ديار بكر ٤٢٤٧٦٠ - أطنة ٤٨٨٩٥٤. ويحسب المجموع ٣٦٣٠١٧٣ نسمة. فيكون مجموع عدد سكان الولايات الآسيوية كلها ١٣.٦٨٣.٢٧٠ نسمة.

وفي الحديث حول عدد العناصر التي تسكن تلك البقعة الشرقية كما سماها والأقليات وتعدادهم تستنتج الجريدة أن الأرمن لا يزيدون عن مليون ونصف مليون

نسمة وهم يسكنون الولايات الأرمنية ويذكر أعدادهم على النحو التالي: أرضروم ١٨٠ ألف – طرابزون ٨٠ ألف – ديار بكر ١٥٨ ألف – أطنة ١٢٠ ألف – سيواس ١٨٠ ألف – أنقرة ١١٠ ألف – الأستانة ٩٠ ألف – معمورة العزيزية ٩٠ ألف – قونية ٢٥ ألف – وان ١٥٠ ألف – بتليس ٢٢٠ ألف. فيكون مجموع ذلك مليون و٤٠٠ ألف نسمة. وأما الأرمن الباقون فهم مفرقون في الولايات العثمانية الأخرى كحلب وأدرنة وغيرها.

وأهم ما تذكره الجريدة هو إحصاء الحكومة الرسمية الذي يبين توزع الأرمن في العالم وأعدادهم في ذلك العام. وهو على الشكل الآتي: ١٤٦٠٠٠٠ في تركية آسيا، ٢٥٠٠٠٠ في تركية أوروبا، ١٥٠٠٠٠٠ في أرمينيا الروسية، ١٥٠٠٠٠ في أرمينيا الفارسية، ٥٠٠٠٠ في مصر أميركا وغيرها. مما يؤكد تواجد ٣.٤١٠.٠٠٠ أرمني في حينه.

من خلال دراستنا للصحف السورية، يجب القول إن معاناة الشعب الأرمني قد لاقت صداها حتى في صحف المهجر السورية التي وصفت بإسهاب مشاهد التهجير والمذابح، وهذا برهان لا جدال فيه على أن الفظائع غير الإنسانية تشكل قسماً من أول إبادة مدبرة في القرن العشرين.

هذا ما تحدث عنه الصحفي أحمد الداري في العدد ٢٥ تاريخ ١٩١٦/٨/١٨ في مقالة مطولة له بعنوان "تركيا والمسألة الأرمنية"، حيث يصف الدولة التركية على أنها مستمرة في سلب حقوق العناصر التي تحكمها *"وقد ذاق الأرمن من هذه السياسة المعوجة ما لم تذقه أمة"*. ويتساءل الكاتب عما فعلته الأمة الأرمنية لتستحق هذه المعاملة القاسية والظالمة والوحشية. ويرجع السبب إلى أن ذكاء الأرمن ونشاطهم وأعمالهم قد حال دون تنفيذ رغائب الأتراك التخريبية. بل بالعكس فقد صدت الحكومة التركية الأرمن نيل حقوقهم، ثم ينتقل إلى موضوع الإصلاحات التي صارت آفة بدل من أن تكون نعمة على الشعب الأرمني.

ويفسر أحمد الداري أن الإصلاحات كانت ستعود بالفائدة على الأرمن مما يتعارض مع مصالح تركيا وألمانيا، حيث أن مصالح تركيا تتفق مع مصالح ألمانيا في التنكيل بالأرمن فقد أضحوا عقبة في طريقهم لذلك أرادوا أن يزيلوه، وبرأيه هذا ما يجعل الإنسانية تقبح عملهم وجريمتهم. وينهي مقالته متوجهاً إلى القراء بالأسطر التالية: *"هذه هي الحقيقة بسطناها أمام القراء ليعلموا اليد المجرمة التي فتكت بالأرمن واليد الدافعة التي دفعت إلى ارتكاب الجرم، لذلك يستقبل العالم انتصار الحلفاء كنعمة تصيب العدل بالإنسانية والأمم الضعيفة.."*.

ومن الأمور اللافتة للنظر في *المستقبل* تخصيص مكان كبير لأخبار إبادة الأرمن. ويعتبر الباب "أقوال الصحف الكبرى" من الأبواب الدائمة في جريدة *المستقبل*، ونجد في العدد ٤٦ تاريخ ١٩١٧/٥/١٨ عنوان "شهادة ألمانيا في الفظائع

الأرمنية" لمقالة مثيرة تحكي عن كتاب نشر في جريدة سويسرية أرسله معلمو المدرسة الألمانية في حلب. ويتحدث الكتاب حول آلاف التلاميذ الذين تعرضوا للموت وحول معاناة النساء وحول العراقيل والتهديدات المقدمة ضد الألمان الذين رغبوا في تصوير الأرمن المسوقين. فتختم الجريدة بالسطور التالية وهي مستاءة من الكتاب نفسه. *فهذا الكتاب يظهر أنه لا يزال في العالم بعض الألمان الذين لم تنتقل إليهم عدوى القسوة والهمجية والفظاعة التي استحكم داؤها الأمة الألمانية... الظاهر أن هؤلاء الشهود لم يكونوا عارفين لما أرسلوا كتابهم هذا إلى وزارة الخارجية أن الفظائع كانت تقترف بموافقة الحكومة الألمانية ورضاها...".*

أما النص التالي *تركيا والعرب*" في العدد ٦٨ تاريخ ١٩١٧/٧/٩ وهو بتوقيع الصحفي المعروف علي الغاياتي فيمثل لنا علاقة العرب بالأتراك وطريقة تفكير العرب واهتمامهم بمواضيع الأرمن واستنتاجهم لسياسة الأتراك، إذ يقول: *"اتصل بنا من مصدر يروى بسند عال عن جمعية "الاتحاد والترقي" أن حكومة الأستانة بعد أن رأت أن ما أنزلته بالأرمن من الويلات والبلايا لم يقض القضاء المبرم على الشعب الأرمني كما كانت تروم وبعد أن بدا لها أنه لا يمكن لها أن تميت أمة بأسرها مادام فرد واحد من أفرادها يتمتع بالحياة في أية أرض كانت. رجعت على نفسها باللائمة فيما صنعته مع العرب، وأيقنت أنها لن تنال منهم منالاً بالرغم من مشانق جمال ومجاعاته وأوبائه التي منيت بها سورية ورزئ بها الشعب العربي الكريم... وقد هداها البحث الطويل والدرس العميق إلى الرغبة في منح العنصر العربي كل حقوق الاستقلال الداخلي... فالأستانة تشعر بعجزها عن مقاومة الحركة العربية...".*

نستدل من ذلك، أن الصحفي الغاياتي كان قد توقع ومنذ عام ١٩١٧ الوجه الحقيقي للأتراك. لقد أدرك تماماً أن الاتحاديين قد خططوا ودبروا الكابوس الأرمني، الذي يمكن أن يذهب ضحيته العرب أيضاً.

ويتحدث الصحفي الغاياتي ذاته في العدد ٩٤ تاريخ ١٩١٨/٢/١٠ وتحت عنوان "طلعت باشا والأرمن" حول رأي طلعت باشا في المسألة الأرمنية أبداه خلال مؤتمر الاتحاديين. فيقول ناقداً *"... ما دعانا إلى عرضه هنا على أنظار العالم العربي الحر، ليشاطرنا الدهشة من وقاحة "الصدر الأعظم" واستخفافه ويحتج معنا على محاولة الرجل تبرير حكومته المجرمة، وإيقاع الملامة على ضحايا بغيها من الأرمن أنفسهم ...".*

ويختم علي الغاياتي مقالته قائلاً: *"هذا ما يقوله طلعت باشا مبرراً به سلوك حكومتي الاستبداد والحرية - كما يقول - مع الأرمن، ومعتذراً بذلك عن ظلمهم وسفك دمائهم. وهو مع كل هذا لا يخجل من تلقيب نفسه وجماعته بلقب "الأحرار" ولا من ذكر "الحرية" التي أنقذوها قبل أن تخنق في مهدها" حسب ما يدعي.*

312 - 2010

ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ԱԶԳԱՅԻՆ ԳՐԱԴԱՐԱՆ

والأعجب في ذلك هو اعترافه بأنه قد حدث من الجندرمة ما أخل بنظام نقل "الأرمن إلى "خارج منطقة الحرب" وتصريحه بأن الحكومة عاقبت من أساء".

يربط الغاياتي حديث طلعت باشا بأفعاله ليرى في النهاية أن التناقض موجود في إدعائه للحرية وسياسة الاستبداد وسفك الدماء التي يتبعها ضد الشعب الأرمني، ويطلب من العرب الاحتجاج على حكومة الأتراك التي تبرر وتعتذر للجرائم التي ارتكبتها بحق الأرمن.

ومن جهة أخرى يأتي حقي العظم ليحلل خطة الطورانية وخطرها من خلال حوار بين القنصل الألماني ونوبار باشا في العدد ١٠٣ تاريخ ١٩١٨/٥/١٠ فيقول: *ثم يجيء دورنا إذا بقيت سوريا تحت نير تركيا الثقيل فينال السوريون نصيبا آخر من القتل والشنق والتعذيب بمقياس كبير جدا. وسوف تكون المذابح في بلادنا أشد هولا من المذابح الأرمنية...".*

فها هو رجل السياسة المعروف حقي العظم يحذر العرب من خطر الأتراك ويشجعهم على الاستقلال من نيرهم.

ويتابع حقي العظم كتاباته التشجيعية ويقول في مقال له نشر في العدد ١١٥ تاريخ ١٩١٨/٩/٣٠ بعنوان مثير "ما أعظم الفرق بيننا وبينهم" حيث يتحدث عن الاجتماع الذي عقد لدراسة سبل تحسين أحوال سوريا في المستقبل ويتوقف حقي العظم عند كلمة المندوب الأرمني نوبار باشا حيث يحث الأخير العرب على التكاتف والوفاق كما يفعل الأرمن. فيقول حقي العظم: "... *هذا قول صدر من رجل ينتسب إلى شعب نشيط حي لا يدع الفرص تفوته ولا يتمسك إلا بالجوهر... لم يكتف هذا الرجل بوقف حياته على تحسين أحوال الأرمن في مصر مثلا حيث له أيادٍ بيضاء على الجمعيات الأرمنية من خيرية وسياسية وعلى البائسين والمعوزين أو المهاجرين من أبناء شعبه.. لم يكتف بوغوص نوبار باشا بهذه المكرمات بل شد الرحال إلى أوربا بعد نشوب نيران الحرب ملبيا صوت ضميره ونداء شعبه ليسعى وراء ما فيه الخير لبلاده الأصلية... هكذا يكون حب الأوطان!".*

وبعد ذلك يقارن صاحب المقالة بين دوافع الأرمن في مساعدة بعضهم البعض وما على العرب أن يفعله. ويختم مقالته بالقول: "*هكذا كانت نظرية صاحبنا وهكذا كان جوابه. وقد ذكرني ذلك بالوسائل التي كان الأرمن يتخذونها فيما مضى للحصول على النقود من بعض أغنيائهم البخلاء على أوطانهم وشعبهم. فما أعظم الفرق بيننا وبينهم!...*" .

لقد اهتمت الصحيفة بقضايا الأرمن ومصيرهم، ويبدو أن رجال الفكر السوريين أرادوا الاستفادة من تجربة الأرمن وكيفية مجابهتهم للأمور. وفي المقالة المذكورة يشجع حقي العظم العرب بالتمثل بالأرمن لمساعدة بعضهم البعض.

يبدو للكثيرين أنه بعد عام ١٩١٥ لم تحصل أية حوادث ذبح أو قتل، لكن مقالات جريدة *المستقبل* تثبت العكس. ففي العدد ١٢٤ تاريخ ١٩١٩/١/١٧ يكتب علي الغاياتي بعنوان "أخبار الدولة التركية" عن زوج أخت أنور باشا قائلاً: "... *وقد انتهز فرصة وجوده على رأس هذه الولاية ليغتني ويجور على من بقي من الأرمن حتى إنه أمات عدة آلاف منهم رمياً بالمترليز. وأمعن على الخصوص في نهب الأسر السورية المنفية بداخل الأناضول. وقد سطا على ما يملكه الأرمن. وأوعز بذلك إلى أعوانه فوضعوا النار في منزل هناك كانت به مستندات تدل على الحقيقة. وقد أصاب الأرمن فوق ما أصابهم بالأناضول كثير من البلاء والشقاء بالأستانة نفسها حتى أنهم كانوا يساقون بلا جرم ولا إثم إلى سجن المجلس العسكري بها. وهناك كانت تخلع أظافرهم بأمر مدير البوليس العام بدري بك. وعينوا قهوجياً ايرانياً ذبح الكثيرين من الأرمن واليونان بسجن إدارة البوليس*".

تؤكد المقالة على أن الأرمن كانوا يعانون الويل في الأستانة والأناضول على السواء. فحتى في عام ١٩١٩، كانت وسائل التعذيب المبتكرة تنفذ بحقهم عدا عن النهب الذي كانوا يتعرضون إليه مع العرب.

لقد تأثرت صحافة المهجر السورية بالأحداث والتيارات السياسية في سوريا. وبناء على حديث مكاتب *المستقبل* المتمثل بالصحفي علي الغاياتي مع الأمير شكيب أرسلان في جنيف نشرت الجريدة الحديث في أعداد متتالية. وحول سؤال عن العناصر الأرمنية أجاب الأمير أرسلان في العدد ١٣٤ تاريخ ١٩١٩/٥/٢٠ بأن الأرمن أصبحوا موجودين في كل ولاية، واقترح بإعطائهم مملكة مستقلة من الأراضي الروسية والعثمانية في جنوبي القوقاز، وبذلك يبلغ عددهم مليونين نسمة إلى ثلاثة وينتهي التشويش واللغط الحاصل في مسألة الذبح بين المسلمين والأرمن - كما أشار شكيب أرسلان.

وعن مشروع مبادلة أملاك المبعدين السوريين يرى الأمير في العدد ١٣٧ تاريخ ١٩١٩/٦/٢٠ أن قانون المبادلة يقصد به الأرمن الذين يريدون مبادلة أملاكهم بأملاك في الأماكن الجديدة التي استوطنوا فيها.

وفي الأعداد المتلاحقة التي نشرت الحديث بأكمله، كان الحديث يدور حول سياسة الاتحاديين وتحالفهم مع الألمان، وكذلك حول معارضة روسيا في دخول إنكلترا في الولايات الأرمنية من أجل الإصلاحات.

نرى مما سبق أنه كان للمفكرين العرب دور كبير في عملية إنشاء الصحافة وتطويرها في المهجر. وكان أمام الصحافة في المهجر مسائل وطنية والتي بسببها تعطلت وتمت ملاحقتها. وتأتي مقالات *المستقبل* لتشهد على أن الصحافة السورية ورجالاتها، كانت لهم نظرة جدية بالنسبة لأحداث المعاناة التي تعرض لها الشعب الأرمني.

وننتقل الى جريدة أخرى في المهجر وهي جريدة *القلم الحديدي* التي أصدرها الصحفي المرموق جورج حداد من سان باولو عام ١٩١٣. كانت ترويسة الجريدة تحتوي على الجملة التالية: "*جريدة أنشئت لإطلاق حرية الفكر وتحطيم الخرافات والجهل*". وفي أعدادها جميعاً نلاحظ أن الباب الدائم "طاولة التحرير" كان يتضمن مقالات تحليلية نقدية حيث كان يتطرق من خلاله إلى أحوال الأرمن. فيستغرب صاحب المقال في العدد ٣٠ تاريخ ١٩١٤/٩/١٥ على أن سفير الدولة العثمانية في نيويورك أقر رسمياً بوجود مذابح، ذبح فيها بعض الأرمن والمارونيين في المملكة.

وكتبت الجريدة عن سياسة التتريك التي اتبعها الاتحاديون في العدد ٣٣ تاريخ ١٩١٤/١٠/١٥ ما يلي: "*يتساءل الناس إزاء مصائب سوريا الآن... الأتراك الأحرار لا يطيقون ذكر اسم عربي وأرمني وكردي ، بل يريدون تتريك وسحق هذه العناصر من البلاد...*". إنه انتقاد واضح للواقع الذي كانت الأقليات تعيش فيه في ظل الإمبراطورية العثمانية ودليل على إدراك سياسة التتريك المتبعة بحقهم.

وتصدرت إحدى صفحات العدد ٥٤ تاريخ ١٩١٥/٨/٣ من الصحيفة صورة نادرة حيث كتب في أسفلها: "*هذه الصورة الفوتوغرافية تمثل قسماً من ساحة الذبح في القرية التي كان فيها المراسل الأمريكي حيث ترى جثث رجال ونساء مقطعة تقطيعاً فظيعاً وصار من الصعب تمييزها وهي كما ترى رؤوس بلا أبدان وأبدان بلا رؤوس وقطع أجساد مبعثرة هنا وهناك. والخيالة الواقفون بأفراسهم هم خيالة الروس الذين لسوء حظ هؤلاء التعساء وصلوا متأخرين إلى القرية أي بعد المذبحة المريعة كما ترى في الرسم*".

وقد جاء إلى جانبها وتحت عنوان "مذابح الأرمن" ما يلي: "*مقدمة بقلم التحرير. كان بودنا أن لا ننشر ما سننشره هنا من وصف وتصوير هذه المذابح المحزنة لعدة أسباب أهمها هو أن هذا الوصف يثير الأشجان حزناً وأسفاً.. ومن جهة أخرى فإن كثيرين من المواطنين يعودون حين مطالعة وصف هذه المذابح إلى ذكرى مذابح سوريا القديمة التي تعد بجانب هذه المذابح التي سنذكرها هنا لعبة أولاد. نقول إن الجهل والغباوة مع مزج التعصب الديني هما السبب الوحيد لكل هذه الويلات التي يخطها التاريخ ... ومثل هذه المذابح التي ستطالعون عنها الآن ما تقشعر منه الأبدان ويدمي له قلب الإنسانية والتمدن حزناً وأسفاً ...*". ومن ثم تنقل الصحيفة رسالة القنصل الأمريكي هربرت حيث يصف الحالة الفظيعة للجثث.

لم تكتف الجريدة بنقل الحدث بل ختمت المقالة بتحليل لأسباب الأحداث. فهي ترى أن الجهل والتعصب هما من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى مذابح الأرمن وإبادتهم، وفي نفس الوقت أدت إلى حزن الإنسانية جمعاء.

على أي حال، كانت *القلم الحديدي* تتساءل في مقالاتها عن مسبب الحزن في سوريا والعراق وأرمينيا والأناضول، وتلمح وتشير إلى الدولة العثمانية كونها المستعمرة من نسل جنكيز خان المغولي التركي في العدد ٥٥ تاريخ ١٩١٥/٩/١٥، وتستنكر المذابح التي حصلت للمسلمين في دمشق وعمليات الشنق التي أجروها بحق أبناء الوطن من زعماء العرب، ولذلك تحذر المواطنين المسلمين العرب من التركي وتتعته بالكافر وبلا ضمير لأنه يكره العرب والمسلمين والنبي العربي وقرآنه العظيم (العدد ٦٠ تاريخ ١٩١٥/١٢/١).

حاولت جريدة *القلم الحديدي* الصادرة في سان باولو إبراز كراهية الأتراك نحو العرب وبشكل عام نحو المسلمين. وكان كتاب مقالاتها يرجئون ذلك إلى انحدار الأتراك من جيل جنكيز خان والمغول. وتوضح الجريدة أنه يجب الحذر من الأتراك لأنهم يسببون الألم وينشرون الرعب في سوريا وأرمينيا وغيرها.

لقد عانى الشعب العربي السوري الكثير من المجاعة وذاق طعم الحرمان، وجابه تجارب من اضطهادات أخرى نظمت من قبل الاتحاديين. مقالة بعنوان "الجوع في الممالك المحروسة" في العدد ٧٢ بتاريخ ١٩١٦/٦/١ تشرح لنا الظروف المحيطة في البلاد وسياسة تجويع نفذها الأتراك بحق ٨٠ ألف سوري ولبناني. وتستدرك الصحيفة: *أما سياسة الأتراك هذه فهي من أهول وأفظع ما جال بفكر الإنسان منذ الخليقة للآن وهذه السياسة هي مبنية على إهلاك كل العناصر التي لا تتكلم اللغة التركية إهلاكا تاما بقطع النظر عن دين هذه العناصر فقد بدؤوا بإهلاك الأرمن عن بكرة أبيهم واتبعوهم باليونان... ثم حولوا وجههم نحو سوريا العربية ليعملوا بأهلها ذات العمل لكن بطريقة أخرى وهي غير طريقة إفناء الأرمن أي بواسطة الموت البطيء أو الموت الأبيض" وهو الموت جوعا...".*

هنا إشارة واضحة إلى وعي الصحفيين السوريين إلى سياسة الأتراك المتبعة واسلوب تعاملهم مع الأقليات، والقدر الذي ينتظر العرب. وفي نفس الوقت تفهمهم للواقع الأليم الذي تعرض إليه الأرمن.

وفي نفس العدد تتساءل *القلم الحديدي* عن مكمن الحقيقة والسبب الذي جعل رعايا الدولة يبتعدون عنها، وتجد الإجابة في الأتراك أنفسهم وأنهم أساؤوا إلى الشعوب وخصوصاً بعد مذابح وأهوال أرمينيا. وتؤكد الجريدة أن العالم المتمدن والتاريخ يشجبون مذابح الأرمن، وبذلك تكون قد شملت معاناة الأرمن بمعاناة الإنسانية جمعاء.

وهنا بعضاً مما جاء في رسالة نقدية موجهة إلى أنور باشا في مقالة بعنوان "خطاب عربي ووطني إلى أنور باشا التركي" في العدد ٧٦ تاريخ ١٩١٦/٦/٣١: *أي أنورنا العزيز.. هل لم تزل تحلم بنابليون الكبير وتتقلده أيها التركي الحقير؟.. قل لنا أيها الفارس المغوار والبطل الكرار. قل لنا بالله عليك كيف رأيت ملامس أعناق*

الأطفال والنساء تحت مضارب سيفك الصقيل الذي سنـته لتفتح به روسيا وبلاد القوقاس ففتحت به عروق أبناء بلادك المساكين... إنك رجعت مكسوراً من معركة صاري كاميش وحسامك لم يزل أبيض كما كان فأحببت أن تراه أحمر يقطر دما ولكن بمن؟ إننا نخجل أن نقول أين تلوث هذا الحسام وبدم من تدنس سيف ثابليون! فاتح القوقاس ومصر إنه تدنس بدماء نساء وأطفال أرمينيا!! فكل ما كان الروس يزيدون قتلاً بجيشك كنت أنت تزيد قتلاً بالنساء والأطفال..".

ليس من الصعب معرفة مغزى الخطاب الوطني هذا، إذ جرد أنور باشا من أقنعته وظهر دون قناع أمام العرب، وظهر بوحشيته وحسامه المدنس بدماء النساء والأطفال الأرمن. فنجد أن السوريين في المهجر كانوا على إطلاع تام بما يجري في البلاد وكان لهم موقفهم من أفعال الحكام الأتراك.

والأهم أنهم كانوا على دراية بماهية الأتراك. ففي العدد ١٠٥ تاريخ ١٩١٧/١٠/١٦ نجد صاحب *القلم* الحديدي في مقالته "جريمة الأتراك العظيمة" يفسر فظائعهم ويعود بها إلى هولاكو التتري ويعتبر *أن الأتراك حين يفتحون بلاد غيرهم يرجعون بتمدن تلك الشعوب آلاف السنين إلى الوراء، فهم يخربون المدن، ولا يتركون في البلاد التي اقتحموها أثراً من آثارهم يدل على علومهم*".

وتتابع الجريدة في عددها ١٢٠ تاريخ ١٩١٨/٦/١ فتنتقد النظام الألماني وعبيدها الأتراك تحت عنوان "نظامات غربية في القرن العشرين" وتضيف: *كما هي عادة هؤلاء الألمانيين وحلفائهم، ويظهر بربريتهم للعالم المتمدن يعدونه كذباً فمذابح الأرمن عندهم كذب، وقتل أهالي سوريا جوعاً كذب..*".

يفهم مما ورد أن الجريدة استطاعت بقلمها الحديدي أن تصف الحالة المتردية المتشابهة التي يعيش فيها العرب والأرمن على السواء، وإن كان هناك فارق في عملية التعذيب.

ومن الصحف الملفتة للنظر في المهجر صحيفة *الأفكار* الصادرة في سان باولو عام ١٩٠٣، حيث نجد فيها وثائق ومعلومات فياضة حول الإبادة الأرمنية.

عرفت *الأفكار* بكونها "*مستقلة لها عناية خاصة بالشؤون الشرقية*" وكانت تصدر مرتين في الأسبوع. وكان رئيس تحريرها الدكتور سعيد أبو جمرة، الشخصية المعروفة في عالم الطب والصحافة وكان عضواً في المجمع العلمي في دمشق[1].

عاشت *الأفكار* فترة طويلة في البرازيل. فنجد في أعدادها لعام ١٩١٨ مقالات تفوق الثلاثين تتحدث عن تفاصيل إبادة الأرمن وتحليلات حولها، نقرؤها في الباب الدائم والمشهور في الجريدة "أخبار سوريا ولبنان وفلسطين" وكذلك في الافتتاحيات.

كما ذكرنا، شغل الأرمن مكاناً خاصاً في الصحافة السورية. وها هي *الأفكار* تظهر إلى النور تفاصيل حول أوامر اتخذت من أجل عملية تهجير الأرمن وإبادتهم من قبل الاتحاديين الأتراك التي دامت فترة طويلة.

ورد في العدد ١١٩٤ تاريخ ١٩١٨/١/٢ وتحت عنوان "الأرمن في سوريا" ما يلي: *"يؤخذ من الأخبار الحديثة الواردة من سوريا أن الحكومة العثمانية أمرت ولاية حلب بجمع الأرمن الذين لجؤوا إلى تلك الولاية والذين كانوا فيها قبل الحرب وإرسالهم إلى الداخلية كما فعلت بالأرمن في الولايات الأخرى".*

ويتساءل كاتب المقالة عن المكان الذي تقرر نقلهم إليه، وقد ولد هذا القرار إرباكاً لدى الصحافة إن كان يخص بولاية حلب أو يعم الولايات الأخرى السورية التي لجأ إليها عشرات الألوف من أرمن ولاية الأناضول. مما يؤكد تقبل السوريين لواقع تواجد آلاف الأرمن المهجرين من الأناضول على أراضيهم من جهة، ومن جهة أخرى استمرار أوامر إزاحة الأرمن وترحيلهم جبرياً بقصد إفنائهم في صحراء سوريا.

انطلاقاً من حقيقة أن الأقليات العرقية تعيش مع بعضها في الإمبراطورية العثمانية، كانت *الأفكار* تدعو العرب والأرمن واليهود ليكونوا مع بعض بوئام ويطالبوا بالحرية.

لقد تطرقت *الأفكار* في صفحاتها إلى الدور السلبي الذي تلعبه ألمانيا وإلى أن إبادة الأرمن كانت تتم بعلمها وبتحريض منها. وحسب ما تناقلته الجريدة بين صفحاتها أن روسيا قد طلبت بإلحاح من ألمانيا بالتدخل لإيقاف تلك المذابح وعملية إبادة الأرمن (العدد ١٢٣٩ تاريخ ١٩١٨/٦/١٥).

عديدة هي المقالات المكتوبة حول تفاصيل معاناة الأرمن وعذابهم أثناء ترحيلهم من ديارهم بعد أن حكم عليهم بالموت جوعاً.

ونستدل من الصحيفة على أن قسماً من الأرمن قد اتجهوا نحو فلسطين. وقد أجرت الصحيفة مقارنات بين معاناة الأرمن والعرب الذين واجهوا معاناة مشابهة.

أما النص التالي في العدد ١٢٠٦ تاريخ ١٩١٨/٢/١٦ فيعطي فكرة عن تعداد الأرمن: *"عدد الشعوب التي كانت تحكمها تركيا قبل الحرب تقدر بـ ٢١ مليوناً منهم ٧ ملايين من الترك و٩ من العرب ومليون ونصف من الأرمن ونصف من الأروام والأكراد وما بقي من اليهود وغيرهم. على أن هذا العدد قد هبط كثيراً بعد الحرب الحاضرة بسبب هذه الحرب والجوع والأوبئة التي حدثت في البلاد العثمانية في السنوات الأخيرة".*

نلاحظ أن سعيد أبو جمرة قد سجل في العديد من مقالاته رأيه حول سياسة التتريك الطورانية وكذلك موقفه ضد مخططات الاتحاديين في نفي العناصر غير المسلمة الذي أشعل بين المسلمين مشاعر الحقد والعدوانية ضد الأرمن. ويستشهد

بقرار الاتحاد والترقي عام ١٩١١ والذي يعطي غير المسلمين بموجبه حرية الحفاظ على الدين واللغة.

وفي افتتاحية العدد ١٢١٢ تاريخ ١٩١٨/٣/٩ يشار إلى شروط الصلح بين روسيا وألمانيا بعودة أرمينيا كلها إلى الحكم العثماني وهكذا سوف تعود سياسة الإقناء إلى ما كانت عليه حال نشوب الحرب الحاضرة.

حسب ما أوردته *الأفكار* أن حلفاء تركيا أي الألمان قد ساعدوا الأتراك في تنفيذ خطة إقناء غير المسلمين والدليل على ذلك معاملة الجنود غير الأتراك في الجيش العثماني التي تشبه معاملة العبيد (العدد ١٢١٤ تاريخ ١٩١٨/٣/١٦).

يعترف كاتب تركي في مقالة له بعنوان "شؤون شرقية – بعض الأخطار التي يتوقعها العرب" صدرت في العدد ١٢١٥ تاريخ ١٩١٨/٣/٢٠ أن *الظلم الحاضر قائم على أساس منظم... اقترح المحرضون على هذه السياسة أمرين للحصول على أغراضهم وهما المذابح والمنافي... وأول تجربة جربوها كانت في الأمة الأرمنية*".

ويتابع صاحب المقالة ويتحدث حول المذابح في أنقرة "*عندما كان الترك يطهرون أنقرة من أرجاس الأرمن*". لكن تلك الأرجاس أي الأرمن لم تكن تطلب إلا حقها الطبيعي في الحياة. أما ما يتصل بالأرمن المنفيين فيصف الكاتب التركي كيف كان الأرمن يمشون طريقهم حسب الأوامر المشددة "*وكانت فرقة من المجرمين والأوباش تنتظرهم عند أول عطفة من طريقهم إلى المنفى بالفؤوس فانقضوا عليهم وقطعوهم إربا إربا*".

ونجد في المقالة نفسها وصفاً لقدر الأطفال الأرمن حيث وزعوهم ضمن العائلات التركية ليفسدوا عليهم لغتهم وجنسيتهم. ويختم الكاتب بتحذير العرب من مغبة الوقوع في نفس القدر ويدعو إلى تذكر ما حصل للأرمن دائماً.

ونلاحظ أن *الأفكار* قد حوت على شهادات قدمها شاهدو عيان عرب. وحمل العدد ١٢١٩ تاريخ ١٩١٨/٣/٢٥ شهادة أحد شاهدي العيان من بغداد بعنوان "فظائع الترك في أرمينيا" حيث يحكي ما رآه: "*أخرج الترك ثماني مائة عائلة أرمنية من قره حصار أغرقوا نصفها بانقلاب الزوارق في نهر الفرات... لما وصل بهم الجندرمة إلى مسافة تسعة أميال من المدينة ابتدأت المذبحة بالعصي والحجارة وقليل جداً من العيارات النارية الرحيمة ونقول رحيمة لأن الموت بها أقل آلاماً من الأدوات الأخرى...*". ومن ثم يأتي على وصف صورة الجثث الطافية على وجه النهر. تكتب الجريدة على لسان الراوي: "*رأس العين، لا يجوز ارتكاب المذابح فيها على الطراز القديم ولكن لا مانع من موت النساء والأولاد جوعاً*".

وفي شهادته هذه تبرز عدم مبالاة الجنود الألمان من مذابح الأرمن مما يثبت مشاركة الألمان فيها. "*كان الضباط الألمان في حلب ورأس العين يسيرون جنباً إلى*

جنب مع هؤلاء الأشباح أشباح الجوع والقتل والموت ولم يحركوا إصبعا ولا لفظوا كلمة بل كانت كلمة السر عندهم "ليس من اللائق أن نتدخل.. ".

وتختم الجريدة برواية أخرى من مصدر آخر بقولها إن التركي فني ماهر في صناعة التعذيب"، ويأتي صاحب المصدر بمثال على ذلك كان الحراس يضربون الجمهور المنهوك القوى من الإعياء رجالاً ونساء وأولاداً ويبعدونهم عن القطار ثم يفتحون الحنفيات ويطلقون الماء الثمين في الرمل المحرق أمام أعين أولئك الألوف المساكين الذين يموتون احتياجاً إليه". وتذكر الأفكار بكل جرأة أنها نشرت هذه المقالة ليطلع العالم المتمدن على هول الفظائع التي ارتكبها الترك فيحكم عليها بما يستحقون.

تعلق الأفكار في عددها ١٢٢٥ تاريخ ١٩١٨/٤/٢٧ على كتاب مذابح أرمينيا الصادر لكاتب ألماني يبرز ذنب ألمانيا في البقاء صامتة تجاه مذابح الأرمن. برأي المؤلف فإن أسباب المذابح ليست دينية إنما هي نتيجة التعصب التركي. ومن جهتها تعقب الأفكار على ذلك بالأسطر التالية: "وخلاصة القول إن المذابح الأرمنية قد حصلت بمشاركة ألمانيا كما يقول هذا الكاتب الألماني لأنها كانت قادرة على منعها أو إيقافها عند حد معلوم ولكن المصلحة قد حالت دون تدخلها في ذلك".

أما فيما يتعلق بمعاملة غير المسلمين فتؤكد الصحيفة أن الخدمة في الجيش العثماني بالنسبة للجنود الأرمن تعتبر اسلوباً آخراً تعمدته الحكومة العثمانية لإفناء الأرمن، لأنهم كانوا يرغمونهم على المشي في صحراء سيناء جائعين وحفاة (العدد ١٢٣٩ تاريخ ١٩١٨/٦/١٥).

المستقبل

الأفكار

وتتابع الجريدة وصفها للأرمن الناجين في عددها ١٢٣٩ تاريخ ١٩١٨/٦/١٥ وتكتب تحت عنوان "ألف وخمسمائة أرمني ينجون من أيدي الأتراك" قائلة: في برقية من القدس لشركة الصحافة المتحدة أن الإنكليز وجدوا في أريحا ١٥٠٠ أرمني وهم البقية الباقية من ألوف المنفيين الذين ذهبوا ضحية سياسة التتريك. وقد كان هؤلاء المساكين الذين جاءت بهم الحكومة العثمانية من أدنة ومرعش وعنتاب وكساب يقطعون الأحجار ويرصفون الطرق للجيش التركي ويكافأون على ذلك بالموت جوعا...".

من الملاحظ أن صحفيي المهجر أيضاً قد أدركوا أن النفي كان نتيجة لسياسة التتريك المتبعة. أما في الوطن فلا ننسى أن الكثيرين من ممثلي العرب رفعوا

أصواتهم عالياً تحت قبة مجلس المبعوثين وفي خارجه ضد سياسة التتريك التي يمارسها الحكام الاتحاديون، وكانوا يدعون إلى مكافحتهم بكل قوة".

ومن المقالات الملفتة للنظر في *الأفكار*، مقالة بعنوان "سوريا والسوريين" في العدد ١٢٤١ تاريخ ١٩١٨/٦/٢٢، وفيها تكتب *الأفكار* أن عدد الأرمن اللاجئين إلى حلب لا يقل عن ٢٥٠.٠٠٠ شخص. وتنقل الخبر غير المنشور سابقاً *فقد طاردت الدولة التركية الظالمة أبناء الأمة الأرمنية وشتتت شملهم بعد أن ذبحت من وقع بيدها وهرب كثيرون منهم إلى صحراء سوريا وهناك لفهم البدو فأتوا بهم إلى حلب... وقد صرح مشايخ العرب للقناصل أنهم أنقذوا أولئك الأرمن إكراما لله وخدمة للحكومة الأمريكية*".

ويختم صاحب المقالة بطلب مباركة الله بالعرب حافظي الولاء والتي هي صفة من صفاتهم الحميدة. وهنا بدا واضحاً مساعدة المشايخ العربية للأرمن، الأمر الذي وضحته الصحافة السورية كوثيقة تاريخية.

وقد ورد تحت باب "شؤون شرقية" في العدد ١٢٤٤ تاريخ ١٩١٨/٧/٦ ما استخلصته جريدة *الأفكار* حول مسألة الأرمن، فكتب ما يلي: *ليس بين شعوب الأرض شعب قاسى من العذاب ما قاساه الأرمينيون... ان الحد المخيف الفظيع الذي وصلت إليه المذابح الأرمنية في آسيا الصغرى ايّان الحرب الحاضرة لم يعرفه العموم حتى الآن ولكن سيعلم الأتراك أن ما فعلوه كان خطأ فاضحا وجريمة كبرى لا تغتفر...*". ويعتبر تعليق المقالة المذكورة من الاعترافات الجلية بجريمة الأتراك التي تدين فظائعهم الممارسة ضد الشعب الأرمني. وحسب تحليل الجريدة يجب على الأرمن الاتكال على إنكلترا من بين دول الأحلاف لأنها تستطيع تحريرهم وتحرير سوريا أيضاً.

وغالباً ما نلتقي في الباب الدائم "شؤون عربية" بمعلومات حول الأرمن. فتحت عنوان "بين العرب والأرمن" في العدد ١٢٥٥ تاريخ ١٩١٨/٨/١٤ نقرأ رسالة التهنئة موجهة من نوبار باشا إلى الأمير فيصل، وذلك لأن الأخير *قد خلص عدداً من الأرمن رجالاً ونساء وأطفالاً من صحراء سوريا*". حيث كان الأمير فيصل قد تلقى العديد من برقيات الشكر بهذه المناسبة.

وقد أجابه الملك فيصل على ذلك بهذه السطور: "*...إن العنصر الأرمني وكل عناصر في حالة نظير حالتهم هي لدينا سواء وما هم إلا شركاؤنا في السراء والضراء. نسأل الله قبل كل شيء أن يمنحنا القوة كي نتمكن أن نمد يد الإسعاف إلى أولئك المنكوبين حتى نبرهن للعالم إحساسات المسلمين الحقة الذي شعارهم هو*

الحرية". ونرجئ أهمية هذه المقالة كونها تمثل مصدراً سورياً يعبر عن معاملة العرب للأرمن وموقفهم منهم.

كما نقلت *الأفكار* تحت عنوان "مذابح أرمنية جديدة" ما كتبته جريدة في لندن عن الصحافي الأرمني ميكائيل فارانتيان وما قاله عن المظالم الواقعة على قومه فالضحايا تبلغ المليون كلهم قتلوا كما تقتل البهائم وعذبوا تعذيباً بربرياً هائلاً.

رئيس الحكومة السورية السابق ورجل السياسة والإعلام المعروف حقي بك العظم له نصيبه أيضاً بين مقالات *الأفكار*. فها هي مقالته تصدر في العدد ١٢٦٣ تاريخ ١٩١٨/٩/١٤ تحت عنوان "نظرة تاريخية إلى الجنون السياسي التركي" حيث يعتبر معاملة الاتحاديين للأرمن والعرب مصابة بمرض الاستبداد. ويقول: *أصيبوا بالجنون السياسي فأخذوا يصادرون الأرمن والعرب والروم، ويضطهدونهم ويسلبون أموالهم ويشنقون آل الرأي.. ويقصدون أعيانهم وعيلاتهم إلى أقاصي البلاد، حتى لم يبق من الأرمن إلا كل طويل العمر ولولا الثورة الحجازية لفعلوا بالسوريين أيضا ما فعلوا بالأرمن... ولو فكروا هؤلاء المجانين الاتحاديين قليلاً لعلموا أنه ما كان بين الشعوب التي يحكمونها من هو أعظم إخلاصا وصداقة للدولة التركية من العرب والأرمن...*".

يرجع الاهتمام بما خلص إليه حقي العظم في هذه المقالة إلى أنه رأى خطأ الأتراك في عدم تقييمهم لأتباعهم الأرمن والعرب. وبدلاً من الاستفادة منهم فقد كانوا يلحقونهم بأشد العقوبات والملاحقات.

هذا، ونجد أن *الأفكار* كانت تنقل أخبار الذبح حتى تلك التي تذاع من قبل لجنة إعانة الأرمن والسوريين في نيويورك. فنجدها تنشر خبر التجاء ٤٠ ألف مسيحي إلى همذان في العجم من مقاطعة أورميا هرباً من الأتراك والأكراد والذين ذبحوا منهم خمسة عشر ألفاً وسلبوهم كل ما كان معهم من المتاع والزاد وقد عضتهم ناب الجوع وفتكت بهم الأمراض الخبيثة حتى أصبح الباقون عرضة للموت (العدد ١٢٧٧ تاريخ ١٩١٨/١١/١٣).

وغالباً ما كانت *الأفكار* تلمح لفكرة الطورانية، وتؤكد أن الاتحاديين ذبحوا ونفوا مئات الألوف من الأرمن والاروام والعرب باسم بني طوران، وأنهم يحافظون على سلامة الجنس التركي من كل شائبة بإبادة جميع العناصر التي لا تسلم بالتنازل عن حضارتها واقتباس المبادىء الطورانية التي وضعتها جمعية الاتحاد والترقي (العدد ١٢٧١ تاريخ ١٩١٨/١٠/١٢).

ونستخلص مما جاء أن رواد الصحافة السورية فهموا خطة الطورانيين وسياستهم في التتريك. وكانوا يعبرون في مقالاتهم عن خطة الاتحاديين في تتريك العناصر غير التركية. وأن الحكومة العثمانية كانت قد هجرت الأرمن من ديارهم بهدف إفنائهم وليس بهدف نقلهم أو تغيير أماكنهم.

ومن خلال دراسة الصحف كمصدر تاريخي نجد أن قيمة الموضوع هنا تكمن في إضاءة الجوانب المهملة وتقديم أدلة وحقائق للمجتمع الدولي حول إبادة نفذت ضد الإنسانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

هوامش البحث

---

[1] فاروق أبو زيد: *الصحافة العربية المهاجرة*، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣٢٥.

[2] مجموعة الصحف: *المستقبل* (١٩١٦-١٩١٩)، *القلم الحديدي* (١٩١٤-١٩١٨)، *الأفكار* (١٩١٨-١٩٢١).

[3] فيليب طرازي: *تاريخ الصحافة العربية*، بيروت ١٩١٣، الجزء الرابع، ص ٣٧٦.

[4] فيليب طرازي، ص ٤٤٣.

[5] نصوح بابيل: *صحافة وسياسة سورية في القرن العشرين*، لندن، ١٩٨٧، ص ١٢.

THE ARMENIAN GENOCIDE AS PORTRAYED
BY SYRIAN MAGAZINES IN THE EXILE
(Summary)

NORA ARISSIAN
narissian@hotmail.com

The Armenian Genocide has drawn the attention of a large number of historians, political activists, and scholars in many countries. These Genocidal acts have been reflected in the political media too.

Against the backdrop of the importance of the media as a source of information about historical events, the author highlights how the heavy control, the oppression of free media and the persecution of news reporters in the Ottoman Empire led to the budding of Syrian exile newspapers in several European and Latin American states.

In their host countries these media activists could freely express their views and national demands. Accordingly, the rich Syrian exile media have been remarkable in their political-analytical and literary nature.

Citing Armenian and Oriental topics covered in the magazines *AlMustaqbal* (published in Paris between 1916 and 1919), *AlQalam AlHadidi* (published in Sao Paolo between 1918 and 1921), and AlAfkar (published in Sao Paolo, 1903) the author highlights those which had to do with the Armenian massacres. Dwelling on these materials, the author considers them as proof of the historicity of the Armenian genocide.

The author asserts that these stories are both descriptive and analytical. She examines the information and the data in these articles in detail as they speak about the "unbearable brutality" and sufferings of the Armenians. Furthermore, she sheds light on the islamisation and turkification policies of both Abdul Hamid and the Ittihadists. Finally, she presents witness accounts and a number of letters wrtitten by Arab representatives and leading figures who condemned these massacres.